مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد الثامن عشر، العدد الأول، ص95- ص136 يناير 2010
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

بَصَائِر عَقَدِيَّة فِي حَدِيْثِ "مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ"
دِرَاْسَةٌ وَصْفِيَّةٌ تَحْلِيْلِيَّةٌ

د. خالد حسين حمدان
كليَّة أصول الدين - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
الجامعة الإسلاميَّة – غزَّة - فلسطين
Khamdan@iugaza.edu.ps

ملخص: هذا البحث دراسة وصفية تحليلية لحديث "مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ[1] اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً[2] فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلاهَا فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ[3] بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلاهَا فَتَأَذَّوْا بِهِ فَأَخَذَ فَأْسًا فَجَعَلَ يَنْقُرُ[4] أَسْفَلَ السَّفِينَةِ فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ؟! قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلا بُدَّ لِي مِنْ الْمَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ"[5] بهدف تحديد مفهومي المداراة، والمداهنة، والفرق بينهما، وبيان أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع استشعار خطورة السلبية واللامبالاة، وعدم الاهتمام بأمور المسلمين، وكان من نتائج هذا البحث: أن المداهنة والمداراة، ضدان لا يجتمعان؛ إذ أن المداراة صفةُ مدح، وهي لأهلِ الإيمان، وهي تعني: أن يتنازلَ المرءُ عن شيءٍ من دنياهُ، ليحافظ بذلك على دينه، بينما المداهنةُ صفةُ ذمٍ، وهي لأهلِ النفاق، وهي تعني: أن يتنازلَ المرءُ عن شيءٍ من دينهِ ليحافظ بذلك على دنياهُ، وحقيقة كل منهما مبنيَّة على قاعدةٍ شرعيةٍ عظيمة، هي قاعدة سد الذرائع، فما كان ذريعةً لثلمِ الدين أو أهله بصفةٍ خاصة أو عامة، فهو مداهنة، محرمةٌ ولا يجوزُ الإقدامُ عليه، وما كان ذريعةً لحفظِ الدين وأهله بصفةٍ خاصةٍ أو عامة، فهو مداراةٌ جائزٌ فعلها، بل واجبٌ في بعض الأحيان، والهلاك المشار إليه في الحديث عام يشمل الهلاك في الدنيا والخسران في الآخرة والعياذ بالله رب العالمين، من هنا فإنَّ الساكت عن تغيير المنكر مداهنة لأهله فهو شريك في الإثم، لذا فهو مستحق للعقوبة في الدنيا والآخرة وأنَّ ما يقع عليه من عقاب إنما هو جزاء وفاق لمعصيته، لعدم قيامه بواجب ألزمه به ربُّه ﷻ، ثم إنَّ اعتذار أرباب البدع والمعاصي بحسن نياتهم ليس مصححاً لعملهم، ولا مانعاً من اعتباره منكراً يجب تغييره.

Belief insight in the prophet Hadith: Those who are on the verge of penetration the frontiers of God Descriptive analytical study.

Abstract: This paper is descriptive analytic study of the prophetic hadith narrated by An-Nu'man bin Bashir

"Theexample of the person abiding by Allah's orders and limits ……" to distinguish between the concept of favoring and flattering. It also sheds the light on the significance of calling for goodness and forbidding abomination taking into consideration the dangerous of indifference and neglecting Muslims` affairs. Therefore; the paper shows that favoring and flattering are poles apart. Favoring is positive and it is associated with Believers. It means that the person might abandon something exists in the present life to adhere his faith. On the other hand, flattering is surely negative and it is connected with Hypocrites. It indicates that one might abandon a pillar of his religion to stick to his present life. Thus, each one of these characteristics is based on the religious base "Satisfaction of Excuses". Any excuse affects partially or generally the religion is considered flattering and any excuse aims at protecting the religion is a type of favoring. So, the aforementioned destruction in the prophetic hadith includes both the present life and the hereafter. Consequently, one who prevents abomination for the sake of his tribe, he is considered as an accessory in this sin. Moreover, the apology of sinners with a good faith does not mean an acceptance for their deeds, and it is allowed to consider it as an abomination should be changed.

مقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾.

اللهم إنا نستدعي من رضاك المنحة، كما نستدفع بك المحنة، ونسألك العصمة كما نستوهب منك الرحمة، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، ويسر لنا العمل كما علمتنا وأوزعنا شكر ما آتيتنا، وانهج لنا سبيلاً يهدي إليك، وافتح بيننا وبينك باباً ، نفد منه عليك، لك مقاليد السموات والأرض وأنت على كل شيء قدير. أما بعد :

فإن من أوجب الواجبات على المسلم الاعتناء بقضاياه العقديَّة والعمل بمقتضياتها، فهي أساس الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، أمَّا في الدنيا فلأننا نعيش في عصر غلبت فيه الفتن وعمَّ فيه الفساد، وأمَّا في الآخرة فلأنَّها تؤدي إلى مرضاة الله ﷻ، ومن ثم الولوج إلى رحمته بإذنه تعالى ودخول الجنَّة.

من هنا فإن من أهم المهمات وأفضل القربات التناصح والتوجيه إلى الخير والتواصي بالحق والصبر عليه، والتحذير مما يخالف ويغضب الله ﷻ ويباعد من رحمته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مقدمة هذه المهمات، ومنزلته عند الله ﷻ عظيمة، وليس أدلَّ على ذلك من تقديم الله ﷻ له على الإيمان كما في قوله تعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ"[6] ، وتقديمه له ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فقال تعالى وقوله الحق: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"[7] وفي هذا التقديم إيضاح لعظم شأن هذا الواجب وبيان لأهميته في حياة الأفراد والمجتمعات والشعوب، وبتحقيقه والقيام به تصلح الأمة ويكثر فيها الخير ويضمحل الشر ويقل المنكر. وبإضاعته تكون العواقب وخيمة والكوارث عظيمة والشرور كثيرة، وتتفرق الأمة وتقسو القلوب أو تموت، وتظهر الرذائل وتنتشر، ويظهر صوت الباطل، ويفشو المنكر، وأخيراً فهذا جهد المقل، وعمل ابن آدم لا يخلو من نقص، لذلك فنحن بحاجة إلى تسديد أرجو الله أن يغفر لي كل خطأ وخطل فالجواد قد يكبوا و السيف قد ينبوا و الكمال لله ﷻ.

فإن تجد عيباً فسد الخللا　　　　فجل من لا عيب فيه و علا

وختاماً أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين آمين.

أسباب اختيار الموضوع:

اختار الباحث هذا الموضوع لسببين رئيسيين:

الأول: الخلط عند البعض بين مفهومي المداراة، والمداهنة، والفرق بينهما، مما قد يوقع الإنسان في التناقض والاضطراب .

الثاني:أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعناية الشرع المطهر به، وما يلاحظه الباحث من ضعف الالتزام به حتى عند كثيرين من أصحاب الاختصاص، في الوقت الذي لازالت حاجة المجتمع إليه قائمة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى :

1- تحديد مفهوم المداراة، والمداهنة، والفرق بينهما، وذلك لخطورةِ الخلط بينهما، وما ينشأُ عن ذلك من مواقف عمليةٍ خاطئة، خاصة في هذا العصر الذي من سماته التناقض والاضطراب.

2- استشعار خطورة السلبية واللامبالاة وعدم الاهتمام بأمور المسلمين.

3- تقدير مشاعر الآخرين ومراعاة أحوالهم.

أهميَّة البحث:

تكمن أهميَّة هذا البحث في التذكير بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو باب عظيم به قوام الأمر كلِّه، وبالرغم من هذه الأهميَّة- وللأسف الشديد- قد ضيع أكثره منذ زمن بعيد ولم يبق منه في هذا الزمان إلا القليل، ومعلوم أنه إذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح وإذا لم يتم الأخذ على يد الظالم أوشك أن يعمَّ الله النَّاس بعقابه، قال تعالى:"... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[8]، وعليه ينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله ﷻ أن يعتني بهذا الباب ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإن الله تعالى قال :" وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ"[9] ، من هنا فإنَّه إذا أُمر بالمعروف ونُهي عن المنكر تحصل النجاة للكل وإلا هلك العاصي بالمعصية والطائع بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يكثر الخبث، نسأل الله السلامة والعفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة

الدراسات السابقة:

عشرات هي الكتب، ومئات هي المقالات ذات الصلة بأبرز موضوعات هذا البحث، بيد أَنها في جلِّها اتسمت بالعموم، وللحق أنّني لم أقف وقوفاً حقيقيَّاً على أنَّ أحدها أبرز الجانب العقدي بشكل يشفي الغليل، الأمر الذي يؤكد الحاجة الضرورية لدراسته، فكانت هذه المحاولة، وفيما يلي طائفة من هذه الكتب التي حامت حول الحمى من المنظور الذي أردنا.

1- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية

2- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ لابن أبي الدنيا

3- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ أحمد بن محمد الخلال، تحقيق عبد القادر عطا

4- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ الدكتور ياسر بن حسين برهامي

5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/د. محمد عبد القادر أبو فارس

6- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه) خالد بن عثمان السبت

منهج البحث:

سلك الباحث في بحثه المنهج الوصفي التحليلي، والذي يعرف بأنه: " وصف منظم للحقائق، ولميزان مجموعة معينة أو ميدان من ميادين المعرفة المهمَّة بطريقة موضوعيَّة وصحيحة"[10]

خطَّة البحث:

تمَّ تقسيم البحث إلى مقدِّمة، وتمهيد- ضمَّنته شرحاً عاماً للحديث-، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

المقدمة:

التمهيد:

المبحث الأول: المداهنة والمداراة.

المبحث الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثالث: اعتذار أرباب البدع والمعاصي بحسن نياتهم.

المبحث الرابع: استحقاق العقوبة في الآخرة بترك تغيير المنكر.

الخاتمة: وقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

مقدمة :

لا يخلو مجتمع من المجتمعات من بعض صور المنكر والفساد التي يقدم عليها ضعاف الإيمان، فإن قام أهل الرشد بواجبهم في إنكار تلك المنكرات والأخذ على أيدي الظالمين صلح المجتمع ونجا الجميع من غضب الله ﷻ، وأما إن تقاعسوا عن هذا الواجب وغلبت كلمة المداهنين فإن العقوبة الإلهية تعم الجميع، وتلك سنة إلهية لا تتغير، قال الحافظ : "وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه، وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها"[11]، ومصداق ذلك قوله تعالى :"وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"[12]، وقول النبيِّ ﷺ : "إِنَّ النَّاس إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ "[13].

الحديث الذي يفرده هذا البحث بالدراسة هو حالة من تلك الحالات، بل هو أصل يقاس عليه، باعتباره مصدر من مصادر التشريع التي أجمعت الأمَّة على تلقيها بالقبول، فيه يُشبِّه

الرسول ﷺ حال النَّاس وموقفهم مما يكون في المجتمع من منكرات، بحال قومٍ ركبوا سفينة فاقتسموا أماكنهم فيها، فكان من نصيب بعضهم الجزء الأعلى من السفينة، وكان من نصيب الآخرين الجزء الأسفل منها، وكان لابد لأهل السفل من الماء فكانوا يصعدون لأعلى السفينة ليستقوا الماء، ولما كان ممرهم على أهل العلو فقد تأذوا بهم؛ إذ ربما أصابوهم بشيء من رشاش الماء أوأقلقوهم وقت راحتهم أو غير ذلك، فلما رأى أهل السفل تأذي أهل العلو منهم عزموا على أن ينقبوا في نصيبهم نقباً يحصلون منه على الماء دون الحاجة إلى إيذاء من فوقهم، ولم يدر هؤلاء أن هذا الخرق الصغير سيؤدي إن تُرك إلى هلاك الجميع ويكون معنى أصغر خرق هوأوسع قبر[14].

ويبين الرسول الكريم ﷺ أن الأمر لا يخلو حينئذ من إحدى نتيجتين: إما أن يقوم أهل العلو بواجبهم في منع هذه الكارثة فينجو الجميع، وإما أن يتركوهم وشأنهم بدعوى أن هذا نصيبهم يفعلون فيه ما يشاءون وحينئذ تكون النتيجة الحتمية هي هلاك الجميع.

المبحث الأول : المداهنة والمداراة

المطلب الأول: المداهنة

المداهنة لغةً:

دهن: الدُّهْن معروف دَهَن رأْسه وغيره يَدْهُنه دَهْناً بلَّه، والاسم الدُّهْن والجمع أَدْهان ودِهان والمدهن: بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر الهاء وفي آخره نون: من الإدهان وهو المُصانَعة واللِّين، والمحاباة في غير حق، ومنه قوله ﷻ: "وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ"[15]، وهو الذي يرائي ويضيع الحقوق ولا يغير المنكر[16]، والإدْهانُ: الغِش، ومنه المُداهَنة، وهي: إِظهارُ خلاف ما يُضمِر[17].

المداهنة اصطلاحاً:

هي: أن يرى منكراً ويقدر على دفعه ولم يدفعه حفظاً لجانب مرتكبه أو جانب غيره لخوف أو طمع أو لاستحياء منه أو قلة مبالاة في الدين[18].

يظهر مما تقدم أن المداهن يرضى بنقص دينه أو تضيع واجب أو وقوع في محرم، من خلال معاملة للناس بما يحبون، والثناء عليهم بما ليس فيهم، ولو كانوا على باطل، فيمتنع المداهن عن إنكار منكر أو نصرة مظلوم، رعاية لحق فاعل المنكر أو الظالم، توقعاً لما قد يحصل منه من جاه أو مال أو حظ من حظوظ الدنيا.

من هنا فإن المداهنة تقترب كثيراً من النفاق، وبهذا التعريف يتبينُ خطر المداهنة، وما تُؤدي إليه من ضياعِ الدين كله أو بعضه، فهي خلق قذر، لا ينحط فيه إلا من خف في العلم

وزنه، أو من نشأ نشأة صغار ومهانة، وأزيد الأمر وضوحًا ببعض الآيات من كتاب الله ﷻ، التي حذرت من المداهنة، مع ذكرِ أقوالِ المفسرين حولها.

1- يقول الله ﷻ: "فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ"[19] .

لعلماء التفسير أقوالٌ مختلفة في معــنى المداهنة، يجمعها معنى واحد كما سيتضحُ ذلك من عرضِ أقوالهم، وأنَّ الاخــتلاف هُنا اختلافُ تنوعٍ لا اختلاف تضاد.

نقــل الــقرطبي- رحــمه الله- في تفسيره عن ابن عباس- رضي الله عنهما- وعطية والضــحاك والســد ي في قوله تعــــالى:"وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ"، ودُّوا لو تكفر فيتمادون على كفرهم، وعن ابن عباس أيضًا: ودُّوا لو ترخص لهم فيرخصون لك، وقال الفراء والكلبي: لو تلين لهم فيلينون لك، والإدهان: التلين لمن لا ينبغي له التليين، قاله الفراء، وقال مجاهد: المعنى ودُّوا لو ركنت إليهم، وتركت الحق فيمالئونك، إلى أن قال. وقال الحسن: " ودُّوا لو تصانعهم في دينــك فيصانعونكَ في دينهم... إلخ، ثم قال القرطبي قلت : كُلُّها إن شاءَ الله صحيحة على مقتضى اللغةِ والمعنى، فإنَّ الإدهان: اللينُ والمصانعة، وقيل مُجاملة العدو ممايلته"[20]، ويعلق سيد قطب- رحمه الله تعالى- حول هذه الآية فيقول: "... فهي المساومة إذن، والاعتقاد في منتصفِ الطريق، كما يفعلون في التجــارة، وفــرقٌ بين الاعتقادِ والتجارة كبير، فصاحبُ العــقيدة لا يتخلى عن شيءٍ منها، لأنَّ الصغير منها كالكبير، بل ليس في العــقيدة صغير وكــبير، إنَّها حقــيقةٌ واحدةٌ متكاملة الأجزاء، لا يطــيعُ فيهــا صاحبها أحدًا، ولا يتخلى عن شـــيءٍ أبدًا، وما كان يمكنُ أن يلتــقي الإسلام والجــاهلية في منتصفِ الطريق، ولا أن يلتــــقيا في أي طــــريق "[21] .

2- كذلك يقول الله ﷻ: " فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً"[22] ، "أي لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك"[23]،

3- ويقول الله ﷻ: " وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً"[24]

أي: "قد كادوا لك أمرًا لم يدركوه، وتحيلوا لك، على أن تفتري على الله غير الذي أنزلنا إليك، فتجيء بما يوافق أهواءهم، وتدع ما أنزل الله إليك"[25].

الآيات السابقة تبينُ أنَّ المداهنةَ مُحرمةٌ بجميع صورها، لأنَّ محصلتها هو النقص في الدين والنيل منه.

بواعث المداهنة :

قد يكون الباعث على المداهنة متابعة بعض المتصدرين لأهواء ذوي السلطان، أو طلباً لتحصيل مال، أو رضا صاحب أو قريب، أو رغبة في إرضاء مرهوب أو مرغوب، فتراهم ينقضون بعض أصول الدين أو فروعه، ويطلقون عبارات تخرج من الإسلام إرضاء للحكام واستجابة لأهوائهم، ومتى اتصف إنسان بهذا الوصف، لاسيما إذا كان داعيةً، سقط من أعين النَّاس، فضلاً عن حبوط عمله والعياذ بالله ﷻ، الذي يقول وقوله الحق:" وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"[26] ويقول:"يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ".[27]

هاتان الآيتان وإن كانتا قد نزلتا في أهل الكتاب فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر عند علماء الأصول، فكل من كتم الحق وخلطه بالباطل وهو يعلم فهو من أهل هذه الآية، وفيما يلي كشف بعض الصور التي التبس فيها الحق بالباطل، والتي يقع فيها بعض المنتسبين لهذا الدين من المنافقين وضعاف الإيمان لتبرير الانحراف أو التهوين منه والرضى به وإقراره، بل إن بعض الطيبين من دعاة وطلاب علم قد تأثروا بأولئك الملبِّسين فصاروا يرددون بعض ما يقولون بعلم أو بغير علم، ومن هذه الصور:

1- لي أعناق النصوص، وتفسيرها تفسيراً باطلاً لتزيين وتدعيم الفتاوى المخالفة لحكم الله ﷻ، دون عمق في فقهها ودون معرفة بقواعد الاستنباط ومناهج الاستدلال وبالموارد التي أجمع عليها العلماء والتي اختلفوا فيها، ومن أبرز الأمثلة على ذلك: إباحة بعض الأعمال الربوية المحرمة بلا شك، وإيجاد تخريجات باطلات لها إرضاء للحكام، حتى يظفر منهم بمنصب، أو بتيسير مصالح مادية له أو لذويه

2- التحايل على نصوص حجاب المرأة للتهوين من أمره.

3- جعل الاشتراكية والديمقراطية من الإسلام وذلك من خلال استخدام النصوص الإسلامية التي تأمر بالشورى، إلى غير ذلك من تهوك في الضلالة، وعبث في أحكام الإسلام وشرائعه.

وكان مما قاله شيخ الأزهر السابق الشيخ محمد الخضر حسين - رحمه الله - يذم أخلاق المداهنين وأفعالهم: "فمن أهل العلم من يرى ذا جاه أو رياسة يهتك ستر الأدب، أو يعيث في الأرض فساداً، فيتغابى عن سفهه أو بغيه، ويطوي دونه التذكرة والموعظة، ابتغاء مرضاته أو حرصاً على مكانة أو غنيمة ينالها لديه، ومن البلية أن المترفين ومن ينحو نحوهم في الزيغ والغرور، لا يكتفون ممن يسوقهم الزمن إلى نواديهم أن يسكت عن جهلهم، ويتركهم وشأنهم، وإنما يرضيهم منه أن يزين لهم سوء عملهم، أو يرمقهم بعين مكحولة بتبسم الاستحسان، وهو أقل شيء يستحق به في نظرهم لقب كيس ظريف، إن هذا الصنف من النَّاس يسيئون لأنفسهم،

ويسعون في هدم دينهم ودعوتهم، بل يكونون حجر عثرة في طريق تعظيم النَّاس للعلم والعلماء، ويقفون في طريقهم لاتباع الحق بتنفيرهم بسوء خلقهم وفساد عملهم عن اتباع دعوة الحق"[28]، فهم كما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "شر على السالكين إلى الله من قطاع الطريق بل هو من قطاع طريق السالكين حقيقة"[29]

خطر المداهنة في دين الله :

يظن بعض النَّاس – وبعض الظن إثم - أن العقل إرضاء النَّاس جميعهم، وعدم مخالفتهم في أغراضهم وشهواتهم، واستجلاب مودتهم، بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويقول قائلهم: أصلح نفسك بالدخول مع النَّاس وموافقتهم، ولا تبغض نفسك عندهم، وهذا المسلك خط كثير من النَّاس، وهذا عقل نفاقي شيطاني، وهو عين الهلاك وثمرة النفاق، وبيان ذلك من وجوه:

أحدها: أن المداهن ترك واجبًا عظيمًا من واجبات الإسلام

وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأجل النَّاس، والله تعالى يقول :"وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً"[30]، فقد سوت هذه الآية الكريمة في الحكم بين فاعل المنكر والساكت عنه.

الثاني: أن المداهن قد التمس رضا النَّاس بسخط الله ﷻ،

فمن فعل ذلك فإنَّما يكون قد قدَّم رضا النَّاس على رضا الله ﷻ، وبالتالي يكون قد تسبب في غضب الله عليه ولعنته، وفي كتاب مُعَاوِيَةَ﵁ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنْ اكْتُبِي إِلَيَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ وَلا تُكْثِرِي عَلَيَّ فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى مُعَاوِيَةَ سَلامٌ عَلَيْكَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاس كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاس وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاس بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاس" وَالسَّلامُ عَلَيْكَ[31]

قوله ﷺ: من التمس رضا الله: أي طلب رضا الله، بسخط النَّاس: أي بكراهتهم للشيء وعدم رضاهم به، كفاه الله مؤنة النَّاس: أي الحاجة إليهم، لأنه جعل نفسه من حزب الله وهو لا يخيب من التجأ إليه وكَّله الله إلى النَّاس: أي سلط الله النَّاس عليه حتى يؤذوه[32]

الثالث: أن المداهن المقدم رضا الخلق عن رضا الله ﷻ أخبث حالاً من مرتكب الكبائر.

ويشهد لهذا ما جاء عن بعض السلف: أن الساكت عن الحق شيطان أخرس، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق[33]، قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: "وليس الدين بمجرد ترك المحرمات الظاهرة، بل بالقيام مع ذلك بالأمور المحبوبة لله، وأكثر الديَّانين لا يعبئون منها إلا بما شاركهم

فيه عموم النَّاس، وأما الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لله ورسوله وعباده، ونصرة الله ورسوله وكتابه ودينه، فهذه الواجبات لا يخطرن ببالهم، فضلاً عن أن يريدوا فعلها، فضلاً عن أن يفعلوها، وأقل النَّاس دينًا، وأمقتهم إلى الله ﷻ من ترك هذه الواجبات وإن زهد في الدنيا جميعًا، وقلّ أن يرى منهم من يحمرّ وجه، ويتمعَّر في الله، يغضب لحرماته، ويبذل عرضه في نصرة دينه، وأصحاب الكبائر أحسن حالاً عند الله من هؤلاء انتهى"[34].

أقول: لو أن رجلاً صام النهار وقام الليل، وزهد في الدنيا كلها، وزعم أنه مسلم، وهو مع ذلك لا يغضب ولا يتمعَّر وجهه إذا انتهكت حرمات الله، فلا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، فهذا الرجل من أبغض النَّاس عند الله ﷻ، وأقلَّهم دينًا، وأصحاب الكبائر أحسن حالاً منه، يؤيد هذا ما قاله الإمام ابن القيم - رحمه الله: "وقد غرّ إبليس أكثر الخلق بأن حسَّن لهم القيام بنوع من الذكر والقراءة والصلاة والصيام والزهد في الدنيا والانقطاع، وعطلوا هذه العبوديات، فلم يحدِّثوا قلوبهم بالقيام بها، وهؤلاء عند ورثة الأنبياء أقل النَّاس دينًا، فإن الدين هو القيام لله بما أمر به، فتارك حقوق الله التي تجب عليه أسوأ حالاً عند الله ورسوله من مرتكب المعاصي،... ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله ﷺ وبما كان عليه هو وأصحابه، رأى أن أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل النَّاس دينًا، والله المستعان، وأيّ دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك، وحدوده تضاع، ودينه يترك، وسنة رسول الله ﷺ يُرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللسان شيطان أخرس؟! كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم، فلا مبالاة بما جرى على الدين؟ ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذّل وجدّ واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه، وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله، ومقت الله لهم، قد بُلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهي موت القلوب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم، كان غضبه لله ﷻ ورسوله ﷺ أقوى، وانتصاره للدين أكمل"[35]

الرابع : أن المداهن لا بد أن يفتح الله له بابًا من الذل والهوان.

لأنه طلب العزّ بمداهنة الباطل، فكما هان عليه أمر الله ﷻ أهانه الله وأذله "نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ"[36]، وقال بعض السلف:"من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافة المخلوقين، نزعت منه الطاعة، فلو أمر ولده أو بعض مواليه لاستخف بحقه"[37]

الخامس :أن المداهن تعمه العقوبة إذا نزلت، قال تعالى: وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"[38] والنجاة هي لأهل الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، كما قال تعالى" فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ"[39]

المطلب الثاني : المداراة

المداراة لغة:

الدَّرْءُ الدفع و تَدَارَأْتُمْ و ادَّارَأْتُمُ تدافعتم واختلفتم و المُدَارَاةُ في حسن الخلق يقال: دَارَأْهُ و دارَاهُ أي لاينه واتقاه[40] وذكر الحافظ ابن حجرٍ - رحمه الله تعالى-: " أنَّ أصلها الهمز لأنَّهُ من المدافعةِ والمراد به الدفع برفق"[41]، وقال ابن الأثير رحمه الله: "رأسُ العَقْلِ بَعْدَ الإيمانِ باللّه مُدَارَاةُ النَّاس" المُدَارَاة غيرُ مهموزٍ: مُلايَنَة النَّاس وحُسنُ صُحْبَتهم واحْتِمَالُهم لئلا يَنْفِرُوا عنك وقد يُهْمز[42]

المداراة اصطلاحاً:

إظهار الحَسَن في مقابلة القبيح لاستدعاء الحسن.. مع سلامة الدين[43]، ذلك يعني: درء المفسدة والشر باللين من القول وترك الغلظة، أو: الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره، أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له، ومنه قوله تعالى: "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ* وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"[44]

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة والمصافاة"[45] ونقل ابن حجر عن ابن بطال رحمهما الله تعالى- :" قال ابن بطال: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفضُ الجناحِ للناسِ، ولينُ الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة".[46]

أقول: إن كل ما سبق من معانٍ للمداراة في الاصطلاح، إنما تعني: أن يسكت المداري عن بعض المخالفات بقصد إصلاحها في وقت أو حال تكون أكثر مناسبة، شريطة ألا يضر ذلك بدينه، ولقد بوَّب الإمام البخاري- رحمه الله تعالى- في المداراة بابًا كاملاً، في كتاب الأدب وأسماهُ: "باب المداراة مع النَّاس"[47]، وفي الحديث عَنْ عَائِشَةَ- رضي الله عنها- أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: "بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا إِنَّ شَرَّ النَّاس عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاس اتِّقَاءَ شَرِّهِ"[48]، فالنبي ﷺ دارى هذا الرجل- واسمه

عيينة بن حصن ولم يكن أسلم حينئذ وإن كان قد أظهر الإسلام- لما دخل إليه مع ما فيه من الشر لأجل المصلحة الدينية، فأراد النبي ﷺ أن يبين حاله ليعرفه النَّاس ولا يغتر به من لم يعرف بحاله وكان منه في حياته ﷺ وبعده ما دل على ضعف إيمانه ... لأنه ارتد بعده ﷺ وجيء به أسيراً إلى الصديق ... وإنما ألان له القول تألفاً له ولأمثاله على الإسلام، وفيه مداراة من يتقى فحشه[49]، فدل على أن المداراة لا تتنافى مع الموالاة إذا كان فيها مصلحة راجحة من التأليف أو تقليل الشر وتخفيفه، كالرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تأليفه وحديث عائشة هذا أصل في مشروعية المداراة"[50]، فإن فيه أن الرسول ﷺ قد ألان القول للرجل تألفاً له ولأمثاله على الإسلام[51]، وعلى مثل ذلك يحمل قول أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ "إِنَّا لَنَكْشِرُ[52] فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ" [53]

الأدلةُ على جوازِ المداراة أو استحبابها أحيانًا ووجوبها أحيانًا أخرى:

1- يقول الله ﷻ: "وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ"[54] ففي هـذه الآيـة الكريمة نهيٌ للمؤمنين من أن يسبُّوا المشـركين وآلهتهم، ومعلومٌ جوازُ سبِ آلهة المشركين استقلالاً، ولكن لمَّا كان يترتبُ على ذلك سبٌّ الله – تعالى الله ﷻ عن ذلك علوًّا كبيرًا- نهي المؤمنون عن هذا العمل، وذلك من بابِ المداراة، والتي محصلتها المحافظة على الدين ولو في المآل.

2- يقول الله ﷻ في وصف المؤمنين من أهل الكتاب مادحاً لهم: "وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ"[55] ذكر القرطبي في قوله تعالى: "وَيَدْرَأُونَ" أي: يدفعون، درأتُ إذا دفعتُ، والدرءُ الدفع، قيل: يدفعون بالاحتمالِ والكلامِ الحسن الأذى... فهو وصفٌ لمكارمِ الأخلاق، أي من قالَ لهم سُـوءًا لاينوه وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه، ومنه قولهﷺ: لمعاذ ﷺ:" وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"[56]، ومن الخلق الحسن دفعُ المكروهِ والأذى، والصبر على الجفا، بالإعراض عنهُ ولين الحديث[57]

الفرق بين المداهنة والمدارة

يقول الإمام ابن القيم- رحمه الله تعالى- في الفرق بين المداراة والمداهنة، وخطورة الخلط بينهما: "وكذلك المداراة صفة مدح والمداهنة صفة ذم والفرق بينهما أن المدارى يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يرده عن الباطل والمداهن يتلطف به ليقره على باطله ويتركه على هواه فالمداراة لأهل الإيمان والمداهنة لأهل النفاق وقد ضرب لذلك مثل مطابق وهو حال رجل به قرحة قد آلمته فجاءه الطبيب المداوي الرفيق فتعرف حالها ثم أخذ في تليينها حتى إذا نضجت أخذ في بطها برفق وسهولة حتى أخرج ما فيها ثم وضع على مكانها من الدواء والمرهم ما يمنع

فساده ويقطع مادته ثم تابع عليها بالمراهم التي تنبت اللحم ثم يذر عليها بعد نبات اللحم ما ينشف رطوبتها ثم يشد عليها الرباط ولم يزل يتابع ذلك حتى صلحت والمداهن قال لصاحبها لا بأس عليك منها وهذه لا شيء فاسترها عن العيوب بخرقة ثم ألهاه عنها فلا تزال مدتها تقوى وتستحكم حتى عظم فسادها"[58]

مما سبق يتبينُ لنا ذلك الفرق الواضح بين المداهنة والمداراة، وأنهما ضدانِ لا يجتمعان؛ إذ أن المداراة صفةُ مدح، وهي لأهلِ الإيمان، بينما المداهنةُ صفةُ ذمٍ، وهي لأهلِ النفاق، وأنَّهُ لا يجوزُ لنا بحالٍ من الأحوال أن نخلطَ بين هذين المفهومين حتى لا نثلمَ ديننا بحجةِ المداراة، أو أن نُقدم على أمورٍ يعقبها مفاسد على هذا الدين، خوفًا من أنَّ إحجامنا عنها يوقُعنا في المداهنة، وما أجمل التفريق الذي نُقل عن الحافظ ابـــن حجر نذكره هنا مع بعض التصرف.

فالمداهنة : أن يتنازلَ المرءُ عن شيءٍ من دينهِ ليحافظ بذلك على دنياهُ.

والمداراة : أن يتنازلَ المرءُ عن شيءٍ من دنياهُ ، ليحافظ بذلك على دينه[59].

وأخيرًا: نستطيع القول بأنَّ حقيقة المُداراة أو المداهنة مبنيٌ على قاعدةٍ شرعيةٍ عظيمة، ألا وهي "قاعدة سد الذرائع"، فما كان ذريعةً لثلمِ الدين أو أهله بصفةٍ خاصة أو عامة، فهو مداهنة، وما كان ذريعةً لحفظِ الدين وأهله بصفةٍ خاصةٍ أو عامة، فهو مُداراة.

قال ابن حجر:" وضابط المداراة أن لا يكون فيها قدح في الدين، والمداهنة المذمومة أن يكون فيها تزيين القبيح وتصويب الباطل ونحو ذلك "[60].

المبحث الثاني

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لما كان المقصود الأعظم لهذا البحث هو بيان أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه لا يستقيم حال الأمة إلا به، بل هو كما قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: "القطب الأعظم في الدين والمهمة الذي ابتعث الله لها النبيين أجمعين..."[61]، فقد رأيت أن أصدِّر هذا المبحث بكلمة حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميته العظمى في شريعة الإسلام، ذلك أنَّ من أهم المهمات وأفضل القربات التناصح والتوجيه إلى الخير والتواصي بالحق والصبرعليه، والتحذير مما يخالفه ويغضب الله ﷻ ويباعد من رحمته

هذا وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منزلة عظيمة في دين الله ﷻ، ولقد قدَّمه الله تعالى على الإيمان كما في قوله تعالى: " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ"[62]، وقدَّمه الله ﷻ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة فقال عزَّ من قائل: "وَالْمُؤْمِنُونَ

وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"[63]

كما جعل الله ﷻ هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، لكنه اشترط لتلك الخيرية أن تكون الأمة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، كيف لا وقد بيَّن لنا ربنا ﷻ كيف لُعن فريق من بني إسرائيل لتركهم لهذا الواجب العظيم، قال تعالى:" لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ* كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ"[64]، وبنو إسرائيل هم أشقى الأمم، وعدم تناهيهم عن المنكر علامة فارقة بينهم وبين خير الأمم، فإن فقدنا ما جعلنا الله به خير الأمم كنا مثل شرِّها، وليس من منزلة هناك بينهما"، قال تعالى:"...فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ..."[65]، ، كما جعل ﷻ هذه الشعيرة العظيمة علامة فارقة بين المؤمنين والمؤمنات، والمنافقين والمنافقات، ، فقال جل شأنه عن المنافقين والمنافقات:" الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"[66]، فدل ذلك على أن من أخص خصائص المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الإسلام والقتال عليه"[67]، وفي هذا التقديم إيضاح لعظم شأن هذا الواجب وبيان لأهميته في حياة الأفراد والمجتمعات والشعوب، وبتحقيقه والقيام به تصلح الأمة ويكثر فيها الخير ويضمحل الشر ويقل المنكر. وبإضاعته تكون العواقب الوخيمة والكوارث العظيمة والشرور الكثيرة، وتتفرق الأمة وتقسو القلوب أو تموت، وتظهر الرذائل وتنتشر، ويظهر صوت الباطل، ويفشو المنكر، فليحذر المداهن لأهل الباطل الساكت عن منكرهم أن يدخل في عداد أهل النفاق والعياذ بالله تعالى.

بيان معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بعد هذا التقديم لا بد من التعريج على تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من منظورين:

الأول باعتباره مركب إضافي، والثاني باعتباره مصطلح مركب

أولاً: باعتباره مركب إضافي:

المعروف في اللغة:"ما يستحسن من الأفعال،... وهو كلّ ماتعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه"[68].

وهو في الاصطلاح:" اسم جامع لكلِّ فعل يُعْرَف بالعقل أو الشرع حسنه، ويأمر به ويمدحه ويثني على أهله، ويدخل في ذلك جميع الطاعات، وفي مقدمتها توحيد الله ﷻ والإيمان به والتقرب إليه،

وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من النَّاس، وهو من الصفات الغالبة، أي، إذا رآه النَّاس لا ينكرونه[69].

والمنكر في اللغـــــة: ضدّ المَعروف، وهو: كلُّ فعلٍ تَحْكُم العقولُ الصحيحةُ بقُبْحه[70].

وهو في الاصطلاح: كل ما ينكره الشرع وينهى عنه ويذمه ويذم أهله، ويدخل في ذلك جميع المعاصي والبدع .[71]

ثانياً: - باعتباره مصطلح مركب:

هو الأمر بما أمر به الشرع إذا ظهر تركه، والنهي عما نهى عنه إذا ظهر فعله، بحيث لا يترتّب على إنكار المنكر منكر أكبر منه، ويكون الأمر برفق، والنهي بحكمة إذ المقصود الإصلاح لا التّشفي والانتصار للنفس.

المطلب الأول

فضائل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

فضائل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ،أكثر من أن تحصى في هذا المقام، لذا سأقتصر في الحديث على أربعة منها، لأهميتها أولاً، ثم لاشتمالها على غيرها من الفضائل ثانياً.

هذه الفضائل الأربعة تتمثل فيما يلي:

أولاً: أنه أهمُّ مهامِّ وأعمال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم:

لا يخفى على أحد عظم المكانة التي للأنبياء والمرسلين عند ربهم ﷻ وفي مقدمتهم محمد ﷺ قال تعالى: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ..."[72] ولا يخفى على أحد أيضاً أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر هو أهم مهمة كلَّف الله ﷻ بها أنبياءه ومرسليه، من هنا فإنَّه وبلا شك أنَّ من يقوم بهذا الدور له الحظوة والمكانة عند ربه ﷻ، وصدق الله العظيم القائل:"وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ""[73]

عن الحسن البصري ﷺ أنه تلا هذه الآية، فقال:" هو المؤمن أجاب الله في دعوته ودعا النَّاس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته فهذا حبيب الله هذا ولي الله فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد"[74]

روى أبو هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاس كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا" [75] وهذا إن دل فإنما يدل على فضله ﷺ وشفقته على أمته، قال ابن حجر: "وَحَاصِله أَنَّهُ شَبَّهَ تَهَافُت أَصْحَاب

الشَّهَوَات فِي المَعَاصِي الَّتِي تَكُون سَبَبًا فِي الْوُقُوع فِي النَّار بتَهَافُتِ الْفَرَاش بِالْوُقُوعِ فِي النَّار اِتِّبَاعًا لِشَهَوَاتِهَا، وَشَبَّهَ ذَبَّهُ الْعُصَاة عَن الْمَعَاصِي بِمَا حَذَّرَهُمْ بِهِ وَأَنْذَرَهُمْ بِذَبِّ صَاحِب النَّار الْفَرَاش عَنْهَا"[76]، وهكذا ينبغي أن يكون حملة الدعوة إلى الله من بعد رسول الله ﷺ ، ويحضرني في هذا المقام قول الشاعر[77]:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

ثانيا: أنه من صفات المؤمنين، وخصال الصالحين:

الوصف السابق الذي وصفه الله ﷻ لأنبيائه ومرسليه وصف به من بعدهم، فهو إذاً من صفات المؤمنين، وذلك قوله تعالى :"التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ"[78] وقوله تعالى: "لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ"[79]، وذلك بعد أن اعتبر الوصف المضاد من أخص أوصاف أضادهم، ألا وهم المنافقون، وذلك قوله عز من قائل: "الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"[80] فلا يملك من سمع وصف الله ﷻ للمؤمنين، وفي المقابل وصفه للمنافقين إلا أن ينضوي تحت راية المؤمنين، ويسلك سبيلهم علَّه يلحق بهم

ثالثاً: أنه مناط خيرية أمَّة محمد ﷺ من بين الأمم:

لم يقف الأمر عند كون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات الأنبياء والصالحين من عباد الله فحسب بل جعله الله ﷻ مناط خيرية هذه الأمة، فقال وقوله الحق: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّه"[81] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ"كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" قَالَ: "خَيْرَ النَّاس لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإسلام".

قوله خير النَّاس: "أي خير بعض النَّاس لبعضهم وأنفعهم لهم من يأتي بأسير مقيد في السلسلة إلى دار الإسلام فيسلم وإنما كان خيراً لأنه بسببه صار مسلماً وحصَّل أصل جميع السعادات الدنيوية والأخروية "[82].

رابعاً: أسباب النصر، والتمكين في الأرض تكمن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى:" وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ* الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُور"[83]،

فالأمرُ بالمعروفِ والنَهْيُ عن المنكر دعَامَتَانِ قَوِيَّتَانِ لبقاءِ الأمَّةِ وعزتِها ووحْدَتِها وبالسكوت عنه تتفرَّق بها الأهواءُ وتَتشتَّت بها المسالكُ، ولذلك كانَ الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر من فرائضِ الدين على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، قال تعالى: "وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[84]، والناظر إلى حال الأمة الإسلاميَّة اليوم يرى شيئاً من هذا حقيقة واقعة، فإنَّ ما أصاب المسلمين اليوم مما نراه من ضعف ومهانة وتفرق، ليس إلا لنبذهم لأحكام دينهم وعلى رأسها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثاني

مفاسد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

على العكس تماماً من الحديث عن فضائل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، الحديث عن مفاسد تركه، فإنه إذ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعطلت رايته ظهر الفساد في البر والبحر كما قال الله تعالى: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاس لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"[85] ولا شك أنَّه يترتب على هذا الترك أهوالاً عظيمةً منها :

1- وقوع الهلاك والعذاب

فإذا تقاعس النَّاس عن هذه الوظيفة عاقب الله ﷻ النَّاس صالحهم وفاسدهم، قال عزَّ من قائل:"وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"[86] ، ، ذلك أنَّ انتشار المنكر والفساد ليس إلا نتيجة حتميَّة لسكوت الصالحين عن إنكاره ومقاومته، روى الشيخان في صحيحيهما بسندهما المتصل عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها" ... فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: "أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ" قَالَ: "نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ"[87]، ومن جملة العذاب الوارد أن يقع هو عذاب الاستئصال، لكنه ليس العام الذي كان الله يعاقب به المكذبين السابقين، فهذا رفع عن أمة محمد ﷺ، بيد أن عذاباً آخر لم يرفع، إنَّه عذاب الاستئصال المعنوي، ومعناه أن يكون المسلمون كثيرين في عددهم يعدون بمئات الملايين بل يزيدون ولكن لا وزن لهم عند الله ولا عند النَّاس، ولقد أخبر النبي ﷺ بانعدام الوزن هذا وانعدام الأثر في حياة النَّاس بقوله ﷺ :" إذا رأيت أمتي تهاب فلا تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم"[88]، وحال المسلمين اليوم يدل على انعدام الوزن هذا فهم يزيدون على مليار ونصف المليار لكنهم غير قادرين على تحرير مسرى رسولهم ﷺ، إنهم ولا شك أموات في ثياب أحياء، ولقد سئل حذيفة ﷺ، ما ميت الأحياء ؟ قال : لا ينكر المنكر بيده و لا بلسانه و لا بقلبه"[89]

2 - تسليط شرار الأمة على خيارها:

التخلي عن أداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يؤدي إلى ازدياد عدد المنحرفين والأشرار، كما يؤدي إلى وجود الظروف الملائمة لتماديهم في انحرافهم وشرّهم إثر غياب الرادع لهم، والمتابع عليهم زلاتهم وفسادهم، حيث يأمنون من عدم الاعتراض وعدم الملاحقة فتنطلق إرادتهم الضعيفة أمام شهوات أنفسهم الشريرة من عُقُلِها ، فيعملون ما يحلو لهم ، ثم يكون الأمر لهم ليسيطروا على مقاليد الأمور، ويوجهون النَّاس حسبما يرون ويشاءون وتكون الكرّة لهم لملاحقة ومطاردة الأخيار والصالحين في جميع ميادين الحياة، ولا يبقى للأخيار والصالحين أي منفذٍ للنجاة أو النهوض بالأمر من جديد، فيعيشون الذل والامتهان إضافة إلى الأذى والتعذيب، وأعظم من ذلك تخلي الرعاية الإلهية عنهم، وعدم استجابة الله تعالى لدعائهم، فعن حذيفةﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ"[90]

وإذا تسلط الأشرار عمّ الظلم والجور والاعتداء على الأنفس والأعراض والأموال، والاعتداء على جميع الحرمات والمقدسات، وعمّ فساد الأخلاق وتحلّلها، وحينئذٍ سيُفتقد الأمان والاستقرار والطمأنينة . والتاريخ حافل بشواهد على ذلك، انظر للمسلمين في الأندلس كيف تحولت عزتهم وقوتهم ومنعتهم لما شاعت بينهم المنكرات بلا نكير إلى ذل وهوان سامهم إياها النصارى حتى بيع سادة المسلمين آنذاك في أسواق الرقيق وهم يبكون كما قال الشاعر:

فلو رأيت بكاهم عند بيعهم لهالك الوجد واستهوتك أحزانُ[91]

وانظر إلى ما فعله التتار بالمسلمين، حيث يعتبر الغزو التتري للعالم الإسلامي نكبة من أعظم النكبات التي حلت به، واستمرت حوالي قرنين من الزمان، قال ابن الأثير:" لقد بقيت عدّة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أقدّم إليه رجلاً، وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يسهل عليه ذكر ذلك؟ يا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسياً منسياً... ثم يقول: فلو قال قائل: إن العالم منذ خلق الله ﷺ آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بختنصر ببني إسرائيل من القتل، وتخريب البيت المقدّس، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرّب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس، وما بني إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا؟! فإن أهل

مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج" [92]

3- **يجعل الله بأس المسلمين بينهم:**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:" يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ،... وذكر منها : وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إلا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ"[93]، .. ومما ينبغي التنبيه إليه أن عدم الحكم بما أنزل الله ليس منكراً فحسب، بل هو المنكر الأكبر إذا ساد في النَّاس ورضوا به من الحكام كانت الحالقة، وكان التناحر والاقتتال والفوضى والاضطراب، ولو أن المسلمين عرفوا حقيقة هذا الأمر، وكان فيهم غيرة على دين الله لأصبح حالهم اليوم غير هذا الحال ولما أصبحوا - كما هو واقع بهم - مع الأسف- الآن

4- **ظهور الجهل، واندثار العلم، وتخبط الأمة في ظلمة حالكة لا فجر لها.**

عاش المسلمون بهذا الدين في قوة وعزة ومنعة، ذلك أَنهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وبمجرد أن تخلَّوا عن هذا الواجب، دبَّ فيهم النقص قرناً بعد قرن، حتى وصل بهم الأمر إلى أن دالت دولتهم ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم، إن المسلم وهو يتأمل حال كثير من المسلمين للأسف الشديد يرى الإسلام غريباً بين أهله، ذلك أن المنكر إذا ظهر فلم يُنكر شبَّ عليه الصغير وشاب عليه الكبير، وظنوه مع مرور الزمن من الحق وصار النهي عنه بعد ذلك منكراً مستغرباً بين النَّاس، فينهدم بذلك جانب من الدين فيكون الدين غريباً، حقاً إنه غريب بين كثير ممن ينتسبون إليه كيف لا وقد عُزِل عن نظم الحياة كلِّها، فلا يلتفت إلى أحكامه، ولا يقام وزنٌ لنظمه وآدابه، وإنما اكتفوا بالانتساب إليه اسماً لا مسمًّى، ولا شك أن هذه هي المصيبة التي تهون بعدها كلُّ مصيبة، فغربة الإسلام بين أهله أن لا يُحكَّم، وأن لا تُنفذ أحكامه، وأن لا تُقام حدوده، وأن لا يُتأدّب بآدابه، وها هو اليوم يظهر في كثير من المجتمعات التفاحش في الأقوال والأفعال، وتضييع الفرائض والأموال، واختلاط النساء بالرجال، ومع هذا يرون هذه الأفعال من الحسنات لا من السيئات، والأدهى من ذلك أنَّه يقال: لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: أنت تتدخل فيما لا يعنيك، ليس لك شأن، وما ذاك إلا من موت الدين واستيلاء الظلمة الفاسقين.

5- **الأزمات الاقتصادية :**

إن المجتمع الذي يُفرِّط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتلاطم به أمواج الفقر والضوائق، ويذوق ويلات الحرمان، فالربا يعلن فيه ويستعلن به، والرشوة يجاهر بها، والغش

يضرب بأطنابه في بيوع المجتمع، وأكل أموال النَّاس بينهم بالباطل، والشفاعات السيئة التي تؤكل بها حقوق الغير، كل هذه وغيرها إذا سكت عنها ولم تنكر، عندها تحل بالمجتمع ضائقات المال، وما الأزمة المالية العالمية إلا دليلاً عمليَّاً على ما نقول، مصداقاً لقوله عزَّ من قائل: "فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ"[94] وقال تعالى: " وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"[95]

المبحث الثالث

اعتذار أرباب البدع والمعاصي بحسن نياتهم

مما يتعلق بحديثنا قضية اعتذار أرباب البدع والمعاصي بحسن نياتهم، وأن نبل المقصد كافٍ في قبول العمل والحكم عليه بالصحة، والحديث يوضح أنه مهما تعلل أولئك القوم بأن مقصدهم من خرق السفينة هو دفع الأذى عمن فوقهم فإن ذلك ليس مصحِحاً لعملهم، ولا مانعاً من اعتباره منكراً يجب تغييره، والله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً صواباً، كما بين ذلك الفضيل بن عياض في معنى قوله تعالى:"الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ"[96]، فقال رحمه الله: "فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة"[97] ثم قرأ قول الله تعالى:" فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً"[98]، ذلك أن العمل لا يكون حسناً حتى تكون نية صاحبه خالصة لله ﷻ، ويكون مع ذلك موافقاً للشريعة الغراء، ومتى فقد أحد هذين الشرطين فهو باطل مردود، فالعمل المتفق ظاهره مع الشرع إذا كان صاحبه مرائياً أو منافقاً يحبط أجره، والقصد الصالح إذا لم يجر في طريقه الذي رسمه له الدين فلا قيمة له ولا يلتفت إليه، ولقد فهم صحابة رسول الله ﷺ هذا المعنى حق الفهم فلم تنطلِ عليهم تلك الاعتذارات التي يتعلل بها أمثال أولئك القوم مستجيزين بها فعل البدع والمنكرات، لذلك أرى من الضرورة بمكان الحديث عن ركني العمل الصالح المتمثلين في النية الخالصة لله ﷻ، والموافقة للشريعة الغراء كمطلبين لهذا المبحث

المطلب الأول

النية الخالصة لله ﷻ

تعريف النيَّة:

أولاً: في اللغة: "هي عزم القلب وتوجهه وقصده إلى الشيء"[99]

ثانياً: في الاصطلاح: "اعتقاد القلب فعل شيء وعزمه عليه من غير تردد"[100].

ما يمكن قوله بعد هذا التعريف للنيَّة أن أي عمل يعمله العبد لا بد فيه من إخلاص النية لله ﷻ، قال تعالى:" وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ"[101] وعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي

حَفْص"عُمَرَ بْنِ الخَطَاب" ﷺ قَال: سَمِعت رسُولَ الله ﷺ يَقُول:"إِنَّمَا الأعْمَالُ بَالْنيَاتِ، وإِنَّمَا لكل امرئ مَا نَوَى، فمَنْ كَانَتْ هِجْرَتهُ إِلَى اللّه وَرَسُولِهِ فَهجْرَتهُ إِلَى اللّه وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتهُ لدُنيا يُصيبُهَا، أو امْرَأة يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُه إِلَى مَا هَاجَرَ إِليهِ"[102]

هذا الحديث حديث عظيم وقاعدة جليلة من قواعد الإسلام العظيم، هي القياس الصحيح لوزن الأعمال، من حيث القَبول أو عدمه، ومن حيث كثرة الثواب أو قلته؛ فإن العامل لا يؤجر ولا يثاب على عمله إلا إذا كان مخلصاً فيه، قال تعالى: "لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاس ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤتِيهِ أَجْراً عَظِيماً"[103] يقول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية : "والمعنى أن هذه الأقسام الثلاثة من الطاعات وإن كانت في غاية الشرف والجلالة ، إلا أن الإنسان إنما ينتفع بها إذا أتى بها لوجه الله ولطب مرضاته، فأما إذا أتى بها للرياء والسمعة انقلبت القضية فصارت من أعظم المفاسد وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن المطلوب من الأعمال الظاهرة رعاية أحوال القلوب في إخلاص النية[104]، وقد بيّن رسول الله ﷺ أيضاً أن العمل يحبط إذا قصد مع الله أحد، فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ"[105]، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل العمل بغير إخلاص سيجر صاحبه إلى النار وبئس القرار، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ " إِنَّ أَوَّلَ النَّاس يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ..."[106]

يقول الإمام النووي تعليقاً على رواية مسلم: "قوله ﷺ في الغازي والعالم والجواد، وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليل تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال"[107]، قال ﷺ: "إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ قَالُوا وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاس بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً"[108] ؟

إن الرياء داء عضال، وآفة عظيمة تحتاج إلى علاج شديد وتمرين النفس على الإخلاص ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والاستعانة بالله ﷻ على دفعها، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: "...فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين النَّاس، ومن تزين لهم بما ليس في قلبه شانه الله، فإن الله تبارك وتعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان له خالصاً"[109]، وقد أرشد نبينا محمد ﷺ إلى علاج لهذا النوع من الشرك، فعن معقل بن يسار ﷺ قال: انطلقت مع أبي بكر الصديق ﷺإلى النبي ﷺ. فقال: "يا أبا بكر ! للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل". فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلهاً آخر؟ فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيده، للشرك أخفى من دبيب النمل، ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره؟". قال: "قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم"[110].

المطلب الثاني

الموافقة للشريعة الغراء

لكي يكون العمل متقبلاً عند الله ﷻ لابد أن يكون موافقاً لما شرَّعه ﷻ على لسان رسوله ﷺ، قال تعالى:"قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[111]، و عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ"[112]، قال النووي: "هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد البدع والمخترعات"[113].

روى الدارمي عن الْحَكَمِ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَبْلَ صَلاةِ الْغَدَاةِ فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ ﷺ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ قُلْنَا لا فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلا خَيْرًا قَالَ: فَمَا هُوَ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصًى فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ: قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ وَانْتِظَارَ أَمْرِكَ قَالَ: أَفَلا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ قَالَ فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلالَةٍ قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلا الْخَيْرَ قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ وَايْمُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَقَالَ: عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ[114].

لقد تضمن هذا الأثر فوائد عديدة ودروساً مفيدة ، نذكر بعضاً منها:

1- ضرورة الرجوع إلى فهم الصحابة ﷺ للنصوص الشرعية، والاستعانة بتفسيرهم للسنة النبوية، فالصحابة ﷺ شهدوا تنزُّلَ القرآن، وعرفوا خاصّه وعامّه، وهم أعلم الأمة بحديث رسول الله ﷺ وسيرته ومقاصده، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (... ومعلوم إن كل من سلك إلى الله ﷻ علماً وعملاً بطريق ليست مشروعة موافقة للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها فلابد أن يقع في بدعةٍ قوليةٍ أو عمليةٍ، فإن السائر إذا سار على غير الطريق المَهْيع[115] فلابد أن يسلك بينات الطريق، وإن كان ما يفعله الرجل من ذلك قد يكون مجتهداً فيه مخطئاً مغفوراً له خطؤه، وقد يكون ذنباً، وقد فسقاً، وقد يكون كفراً، بخلاف الطريقة المشروعة في العلم والعمل، فإنها أقوم الطرق ليس فيها عوج كما قال تعالى:" إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً"[116]، وقَالَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ: "خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا خَطًّا ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ"[117] ثُمَّ تَلا قول الله تعالى:" وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[118] وقال الزهري: كان من مضى من علمائنا يقولون: "الاعتصام بالسنة نجاة ولهذا قيل مثل السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق..."[119]

2- أن الإعراض عن فقه الصحابة ﷺ لنصوص الوحيين من أسباب الزيغ والضلال، وهذا ما أشار إليه ابن مسعودﷺ بقوله: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلالَةٍ ؟ !" وصدق ابن مسعود ﷺ، وصحت فراسته، فقد آل الأمر بهؤلاء: إلى أن سلكوا طريق الخوارج الضالين، قال تعالى: "قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً"[120]، و قال تعالى:" وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً".[121]

3- البدع والانحرافات تبدأ شيئاً فشيئاً، فأول ما تكون شبراً ثم تصير ذراعاً، ثم تؤول إلى أميال وفراسخ، وقد أشار الإمام مجاهد إلى تدرج البدع، وأنها طريق إلى الشرك، فقال رحمه الله:

" يبدءون فيكونون مرجئة ثم يكونون قدرية ثم يصيرون مجوساً "[122]، ويقول ابن تيمية رحمه الله في هذا المقام:"... وَلِهَذَا كَانَ الرَّفْضُ أَعْظَمَ أَبْوَابِ النِّفَاقِ وَالزَّنْدَقَةِ. فَإِنَّهُ يَكُونُ الرَّجُلُ وَاقِفًا ثُمَّ يَصِيرُ مُفَضِّلا ثُمَّ يَصِيرُ سَبَّابًا ثُمَّ يَصِيرُ غَالِيًا ثُمَّ يَصِيرُ جَاحِدًا مُعَطِّلا، ..."[123]

4- النية الحسنة في إرادة الخير لاتكفي وحدها، فتأمّل كيف أنكر عبدُ الله بن مسعود ﷺ على أصحاب الحلقات أولئك، مع أنَّهم في حلْقة ذِكرٍ ومجلسِ عبادة، فهو لَم يُنكر عليهم ذكرَهم لله واشتغالَهم بذلك، وإنَّما أنكر عليهم مفارقتهم للسنة في صفة أدائه وكيفيةِ القيام به مع أنَّ الألفاظَ التي كانوا يذكرون الله ﷻ بها ألفاظٌ صحيحةٌ وردت بها السنة، فكيف الحال بمَن ترك السنة في ذلك جملةً وتفصيلاً في الألفاظ وصفة الأداء وغير ذلك، كالأوراد التي يقرؤها بعض النَّاس ممَّا كتبه بعضُ أشياخ الطرق الصوفية بصيَغٍ مختلفةٍ وأساليبَ متنوِّعةٍ ممَّا هو متضمِّنٌ لأنواعٍ من الباطل وصنوفٍ من الضلالِ كالتوسُّلات الشركية والألفاظ البِدعيةِ والأذكار المُحدَثةِ[124]، وفي هذا دلالةٌ على أنَّه ليس العبرة في العبادة والدعاءِ والذِّكر كثرتَه، وإنَّما العبرةُ في موافقته للسنَّةِ، كما قال ابن مسعود ﷺ في مقام آخر: " اقتصادٌ في سنة خيرٌ من اجتهاد في بدعة "[125]

المبحث الرابع

استحقاق العقوبة في الآخرة بترك تغيير المنكر

إن مما لا شك فيه أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هو من قبيل الفريضة أوالواجب[126]، والفرض والواجب، يثاب فاعله ويعاقب تاركه ويذم، فتارك الواجب إذن معاقب مذموم[127] والعقوبة على ترك هذه الفريضة إنَّما تكون في الآخرة فضلاً عن كونها في الدنيا[128]، لأن الهلاك المشار إليه في الحديث عام يشمل الهلاك في الدنيا والخسران في الآخرة، قال الكرماني:" وفيه تعذيب العامة بذنوب الخاصة واستحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[129]، ونقل ابن حجر عن المهلب وغيره القول: بتعذيب العامة بذنب الخاصة، غير أنه قال: "... وفيه نظر لأن التعذيب المذكور إذا وقع في الدنيا على من لا يستحقه فإنه يكفر من ذنوب من وقع به أو يرفع من درجته..."[130] وعلى هذا فكأن الحافظ رحمه الله يعترض على إطلاق لفظ التعذيب على غير فاعلي المنكر، وهذا الإطلاق يوهم أن هذا العذاب الدنيوي عقوبة لهم وهو في الحقيقة ليس كذلك، لذا كان من مقتضى العدل أن يُعوض هؤلاء عما لحقهم بسبب ذنوب غيرهم فتكفر ذنوبهم أوتُرفع درجتهم والله أعلم .

من هنا فإن كل من رأى منكراً مطلوب منه أن يعمل على تغييره[131] باليد ثم باللسان ثم بالقلب، ففي الحديث الذي رواه مسلم بسنده المتصل أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ"[132]،

وصيغة مَنْ في الحديث تفيد العموم[133] فهي تشمل كل مكلف سواء كان ذكراً أو أنثى .. وصيغة "فليغيره" فعل مضارع مقترن بلام الأمر،[134]، وهي تفيد الوجوب مطلقاً ما لم ترد قرينة تصرفها إلى غير ذلك، بل النصوص الأخرى تؤكد هذا الوجوب، كقوله تعالى:"وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"[135] يفهم مما تقدَّم كلِّه أن لا سكوت عن تغيير المنكر البتة، حتى لو وصل الأمر إلى الإنكار بالقلب، بل إنَّ عدم إنكار المنكر بالقلب دليل على ذهاب الإيمان منه، لذلك لمَّا سَمِعَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ رَجُلا يَقُولُ: "هَلَكَ مَنْ لَمْ يَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَمْ يَنْهَ عَنْ الْمُنْكَرِ"، قَالَ: "هَلَكَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ الْمَعْرُوفَ وَالْمُنْكَرَ"، يُشِيرُ إِلَى أَنَّ مَعْرِفَةَ الْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ بِالْقَلْبِ فَرْضٌ لا يَسْقُطُ عَنْ أَحَدٍ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ هَلَكَ[136]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وَكَذَلِكَ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ بُغْضُ مَا يُبْغِضُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ الْمُنْكَرِ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ ؛ لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ الإِيمَانُ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُبْغِضًا لِشَيْءٍ مِنْ الْمُحَرَّمَاتِ أَصْلا ؛ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إيمَانٌ أَصْلاً." [137]

لذلك سنفرد حديثاً خاصَّاً نتناول فيه مراتب تغيير المنكر كمطلب أول لهذا المبحث، في حين نتناول في المطلب الثاني السكوت عن تغيير المنكر مع القدرة عليه مداهنة لأهله

المطلب الأول

مراتب تغيير المنكر

مراتب الإنكار ثلاثةٌ أَقْواهَا أَنْ يغيِّرَهُ بيدِهِ، وهو واجب عينا مع القدرة فإن لم يقدر على ذلك انتقل للتغيير بالقول، وهي المرتبَة الثانية وليكن القولُ برفق لقول الله ﷻ:"فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى"[138]، وقوله ﷻ :"وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"[139]، فإن عجز عن القول انتقل للمرتبة الثالثة وهي الإنكار بالقلب، وهي أضعفها، قال رسول الله ﷺ "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ"، وفي رواية النسائي: أنَّ رسول الله ﷺ قال: مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَغَيَّرَهُ بِيَدِهِ فَقَدْ بَرِئَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِيَدِهِ فَغَيَّرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ بَرِئَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِلِسَانِهِ فَغَيَّرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ بَرِئَ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ""[140].

والمقصود بقوله: أضعف الايمان: أي شعبه أو خصال أهله والمعنى أنه أقلها ثمرة فمن غيَّر المراتب مع القدرة كان عاصياً ومن تركها لعدم القدرة أو يرى المفسدة أكثر ويكون منكراً بقلبه فهو من المؤمنين، فهذا يبعث على نيته، وهو الذي أشار الحافظ رحمه الله إلى أنه يُكَفَّر عنه

من ذنوبه أو يُرفع من درجته بسبب هذا الذي وقع عليه بلا جريرة منه، ومن الأدلة على ذلك حديث عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: عَبَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَامِهِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ فَقَالَ: "الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاس قَالَ: نَعَمْ فِيهِمْ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ"[141]، وقيل معناه وذلك أضعف زمن الإيمان إذ لو كان إيمان أهل زمانه قوياً لقدر على الإنكار القولي أو الفعلي ولما احتاج إلى الاقتصار على الانكار القلبي إذ ذلك الشخص المنكر بالقلب فقط أضعف أهل الايمان فإنَّه لو كان قوياً صلباً في الدين لما اكتفى به[142] ويؤيده الحديث المشهور "أفْضَل الجهادِ كَلِمَةُ حَق عندَ سُلْطانٍ جائرٍ"[143].

المطلب الثاني

السكوت عن تغيير المنكر مع القدرة عليه مداهنة لأهله

أخرج أبو داود من حديث جَرِيرٍ ﵁ قال:" سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ: "مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِى قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِى يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَيْهِ فَلاَ يُغَيِّرُوا إِلاَّ أَصَابَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمُوتُوا"[144]، ذلك أنَّه ارتكب إثماً بتقاعسه ومداهنته، فهو شريك في الإثم، لذا فهو مستحق للعقوبة في الآخرة، وما يقع عليه في الدنيا والآخرة من العقاب إنما هو جزاء وفاق لمعصيته وعدم قيامه بواجب ألزمه الشارع الحكيم به، ولقد استحق بنو إسرائيل اللعن لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واللعن يقتضي استحقاق العقوبة في الآخرة، فدل ذلك على أن المداهن مع القدرة مستحق للعقوبة كفاعل المنكر، ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى:" وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً"[145]، فقد سوت هذه الآية في الحكم بين فاعل المنكر والساكت عنه إذا كان قادراً على التغيير، قال القرطبي:" ...فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر، لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر، قال الله ﷻ:"إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ" فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء"[146]، والذين يؤثرون السلامة في أديانهم – فيما زعموا – وفي أبدانهم ، ويتركون الأمر والنهي الواجب عليهم هم كما قال الشاعر:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار[147]

إذ صورة حالهم أنهم يهربون من ضرر متوقع إلى ضرر واقع، كما قال تعالى عن المنافقين :" وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ"[148]، وهكذا

تجد المقصر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[149]، ولما كانت مداهنة أهل الباطل والسكوت على منكرهم مؤذنة بالخراب والدمار كما أوضح الحديث الشريف فإن الواجب على أهل الإسلام أن يهتموا بهذا الواجب العظيم وأن لا يتقاعسوا عنه، قال الإمام النووي رحمه الله :"واعلم أن هذا الباب –أعني باب الأمر المعروف والنهي عن المنكر- قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة ، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً ، وهو باب عظيم النفع به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه، قال تعالى:" فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[150]، فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله ﷻ أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم لا سيما وقد ذهب معظمه ويخلص نيته ولا يهادن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته"[151] فإن الله تعالى يقول:" وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ"[152]

الخاتمة

ختامًا : أنصحُ نفسي وإخواني من الدعاة أفرادًا وجماعات، أن يُولوا هذا الموضوع أهميةً كبيرة، وأن يصنفَ المسلمُ أقوالهُ وأعمالهُ على ضوءِ هذه البصائر العقديَّة العظيمة، حتى لا نقع في المداهنة، المعلوم حرمتها، ظنَّاً منا أنها مُداراة أو نُجازفَ في أمورٍ تعودُ بالمفسدةِ على هذا الدين أو أهله، ظنًّا منَّا أنَّ الإحجـــام عنها مُداهنة فنكون كالمستجيرِ من الرمضاءِ بالنار.

غير أنه ينبغي أن يعلم أنَّه ليس من المداهنة المذمومة أن يعامل الداعية بعض أهل المنكر بشيء من التلطف وإلانة القول بقصد تأليف قلوبهم أو دفع شرهم، هذا من جانب، ومن جانب آخرفلعل في هذا الذي ذكرناه مما يشحذ همم المسلمين وخصوصاً أهل العلم والدين إلى أن يقوموا بهذا الواجب العظيم، وأن لا تمنعهم شناعة المشنعين من الصدع بالحق دون خوف أو وجل، امتثالاً للحديث الذي رواه أَبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عن الصادق المصدوق ﷺ أَلا لا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ فَإِنَّهُ لا يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ وَلا يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ"[153]، "وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ"[154]

النتائج وأهم التوصيات

أولاً النتائج:

1- المداهنة والمداراة، ضدانِ لا يجتمعان؛ إذ أن المداراة صفةُ مدح، وهي لأهلِ الإيمان، بينما المداهنةُ صفةُ ذمٍ، وهي لأهلِ النفاق، وأنَّهُ لا يجوزُ لنا بحالٍ من الأحوال أن نخلطَ بين هذين المفهومين حتى لا نثلمَ ديننا بحجةِ المداراة، أو أن نُقدم على أمورٍ يعقبها مفاسد على هذا الدين، خوفًا من أنَّ إحجامنا عنها يوقُعنا في المداهنة، وما أجمل التفريق الذي نُقل عن الحافظ ابــن

حجر نذكره هنا مع بعض التصرف، **فالمداهنة**: أن يتنازلَ المرءُ عن شيءٍ من دينهِ ليحافظ بذلك على دنياهُ أو عرضه. **والمداراة** : أن يتنازلَ المرءُ عن شيءٍ من دنياهُ أو عرضه، ليحافظ بذلك على دينهِ أو دنياه، أو هما معًا.

2- حقيقة المُداراة أو المداهنة مبنيٌ على قاعدةٍ شرعيةٍ عظيمة، ألا وهي "قاعدة سد الذرائع"، فما كان ذريعةً لثلمِ الدين أو أهله بصفةٍ خاصة أو عامة، فهو مداهنة، وما كان ذريعةً لحفظِ الدين وأهله بصفةٍ خاصةٍ أو عامة، فهو مُداراة.

3- كثرة الخبث نتيجة طبيعية لتقاعس الصالحين عن إنكار المنكر ومقاومته. وذنوب بعض المذنبين قد يكون سببها سوء تصرف من الآخرين.

4- أيِّ عملٍ تتعارضُ فيه المصالح والمفاسد، فإنَّ ما كان محصلتهُ ثلم الدين أو أهله فإنَّه مداهنةٌ محرمةٌ ولا يجوزُ الإقدامُ عليه، وما كان محصلتهُ الإبقاء على الدين والمحافظةِ عليه، فإنَّهُ مداراةٌ جائزٌ فعلها، بل واجبٌ في بعض الأحيان.

5- الهلاك المشار إليه في الحديث عام يشمل الهلاك في الدنيا والخسران في الآخرة والعياذ بالله ﷻ، من هنا فإنَّ الساكت عن تغيير المنكر مداهنة لأهله فهو شريك في الإثم، لذا فهو مستحق للعقوبة في الدنيا والآخرة وأنَّ ما يقع عليه من عقاب إنما هو جزاء وفاق لمعصيته، لعدم قيامه بواجب ألزمه به ربُّه ﷻ.

6- اعتذار أرباب البدع والمعاصي بحسن نياتهم ليس مصححِاً لعملهم، ولا مانعاً من اعتباره منكراً يجب تغييره.

ثانياً: التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

1- ضرورة قيام العلماء والخطباء في المساجد بتوضيح الفرق بين المداهنة والمداراة وعدم الخلط بينهما .

2- تحري العدل في الأمور كلها، والابتعاد عن الظلم والإفساد، ولن يتأتى ذلك إلا من بعد إقامة حدود الله في الأرض.

3- أن يقوم كل مسلمٍ بواجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليس إلا لأنَّه من أهم شعائر الدين اللهم اجعلنا من الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر، المقيمين لحدودك. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب. اللهم اغفر لنا و لوالدينا، ولعلمائنا ومشايخنا، ولأزواجنا وذرياتنا ولمن له مثقال ذرَّة من حق علينا، و صلى الله على نبينا محمد و على آله و صحبه وسلم.

الحواشي

[1] - الحد: الفصل بين الشيئين، لئلا يختلط أحدهما بالآخر، أو لئلا يتعدى أحدهما على الآخر، وجمعه حدود، وحدود الله تعالى: الأشياء التي بيَّن تحريمها وتحليلها، وأمر ألا يتعدَّى منها شيئاً، وهي زواجر تمنع الإنسان المذنب من أن يعود إلى الجريمة مرة أخرى، وتمنع غيره عن التفكير فى مثل فعلته،

انظر:- ابن منظور محمد/لسان العرب، مادة حدد،140/3، والزحيلي وهبة/ الفقه الإسلامي وأدلته،12/6-17.

[2] - "استهموا سفينة" أي: اقترعوها فأخذ كل واحد منهم سهماً أي نصيباً من السفينة بالقرعة، والسَّهْمُ: النصيب وسَاهَمْتُهُ مُسَاهَمَةً بمعنى قارعته مقارعةً. انظر: - العيني بدر الدين محمود/ عمدة القاري شرح صحيح البخاري 263/13، والفيومي أحمد/ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مادَّة سهم 293/1.

[3] - في مشكاة المصابيح يمر، التبريزي ، محمد بن عبد الله الخطيب، 3/ 114 .

[4] - ينقر: بفتح الياء وسكون النون وضم القاف، من النقر وهو الحفر سواء كان في الخشب أو الحجر أو نحوهما، ونقر الطائر الشيء ثقبه بالمنقار. انظر:- ابن منظور/ مادة: نقر 227/5 .

[5] - أنجوه: أي نجو المار ويروى أنجوه بالهمزة ونجّوا أنفسهم بتشديد الجيم وهكذا إقامة الحدود تحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها، وواضح في هذا الحديث تعذيب العامة بذنب الخاصة واستحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف، أي إن منع النَّاس الفاسق عن الفسق نجا ونجوا من عذاب الله تعالى وإن تركوه على فعل المعصية ولم يقيموا عليه الحد حل بهم العذاب وهلكوا.

انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل/ الجامع الصحيح المختصر، كتاب الشهادات، باب القرعة وحل المشكلات، 181/3، حديث رقم 2686.

[6] - آل عمران: 110

[7] - التوبة: 71

[8] - النور: من الآية63

[9] - الحج: من الآية40

[10] - الخطيب أحمد وآخرون/ دليل البحث والتقويم التربوي ص 62.

[11] - العسقلاني أحمد بن علي بن حجر الإمام الحافظ فتح البـــاري بـــشرح صـــحيح البخـــاري 296/5.
[12] - الأنفال :25
[13] - الترمذي أبو عيسى محمد/ سنن الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء فـــي نزول العذاب إذا لم يغيَّر المنكر، 316/3، حديث رقم: 2257، قال أبو عيسى:"... **وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ**"
[14] - انظر: الرافعي مصطفى صادق/ وحي القلم، 7/ 3.
[15] - القلم:9
[16] - انظر: العيني، 263/13.
[17] -انظر:- ابن منظور ، مادة دهن 13 / 162.
- الحسيني محمّد الملقّب بمرتضى الزَّبيدي/ تاج العروس من جواهر القاموس، 1/ 8037.
[18] - انظر:- الجرجاني علي بن محمد/ التعريفات، ص: 261.
- المناوي محمد عبد الرؤوف/ التوقيف على مهمات التعاريف 1 /645.
[19] - القلم:8، 9
[20] - القرطبي محمد الأنصاري/ الجامع لأحكام القرآن، 18/ 230-231
[21] - قطب سيد/ في ظلال القرآن، 3658/6.
[22] - الإنسان:24
[23] - ابن كثير إسماعيل بن عمر أبو الفداء/ تفسير القرآن العظيم، 588/4
[24] -الإسراء:75
[25] - السعدي عبد الرحمن بن ناصر/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص463.
[26] -البقرة : 42
[27] - آل عمران : 71
[28]- انظـــر: حـــسين محمـــد الخـــضر، شـــيخ الأزهـــر/ الـــدعوة إلـــى الإصـــلاح. http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=151413
[29] - الزرعي محمد بن أبي بكر أيوب/ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبـد وإيـاك نـستعين 44/3.

[30] - النساء:140

[31] - الترمذي محمد بن عيسى/ سنن الترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ 4/ 34، حديث رقم 2527 أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب 49. والألباني: محمد ناصر الدين/ صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، 1/ 1105، حديث رقم:6097، قال الشيخ الألباني:(صحيح)

[32] - انظر: المباركفوري محمد عبد الرحمن/ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي،7/ 82.

[33] - انظر: الزرعي محمد بن أبي بكر أيوب/ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، 1/ 69.

[34] - الزرعي محمد بن أبي بكر أيوب/ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص 121/1.

[35] - الزرعي محمد بن أبي بكر أيوب/ إعلام الموقعين عن رب العالمين، 176/2.

[36] - التوبة: من الآية 67

[37] - الراجحي عبد العزيز/ القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص:170

[38] - الأنفال:25

[39] - الأعراف:165

[40] - انظر: - الزبيدي، مادة درأ، 1/ 224، والرازي محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر/ مختار الصحاح، 218/1.

[41] - العسقلاني، 10 / 528.

[42] - الجزري أبو السعادات المبارك بن محمد/ النهاية في غريب الحديث والأثر، 2 / 260.

[43] - انظر:- قلعة جي محمد رواس، قنيبي حامد صادق/ معجم لغة الفقهاء، ص417، وابن كثير: 1 / 14

[44] - فصلت:35 - 36

[45] - ابن كثير: 1 / 14

[46] - فتح الباري، 10 / 528.

[47] - البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله/ الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير - اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة،1407هـ - 1987م

[48]- المصدر السابق، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي فاحشاً ولا متفحشاً، 5/ 2244 حديث رقم5685

---

[49]- انظر: المباركفوري محمد عبد الرحمن، 6/ 112

[50] - انظر العسقلاني 454/10.

[51] - انظر: النووي، يحيى بن شرف/ صحيح مسلم بشرح النووي 389/8.

52 - نبتسم، من وهو ظهور الأسنان وأكثر ما يكون عند الضحك وهو المـراد هنـا، انظـر: الترمذي2270/5

53 - الترمذي: كتاب الأدب ، باب المداراة مع النَّاس، 5/ 2270

[54] - الأنعام: 108

[55] - القصص: 54

[56]- الترمذي: كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معاشـرة النَّـاس،239/3، حديث رقم 2053، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[57] - القرطبي، 13/ 298

[58] - الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب/ الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، ص231.

[59] - انظر: العسقلاني، 528/10.

[60] - المصدر السابق 52/13- 53 .

[61] - الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد/ إحياء علوم الدين، 2 / 306.

[62] - آل عمران: من الآية 110

[63] - التوبة:71

[64] - المائدة:78-79

[65] - الحشر: من الآية 2

[66] - التوبة:67

[67] - انظر: القرطبي 199/8.

[68] - ابن منظور، مادَّة عرف 9 / 239.

[69] - انظر:- المناوي، عبد الرؤوف/ فيض القدير شرح الجامع الصغير، 236/1، والجرجـاني، صفحة 275.

والجزري، 216/3، والأصفهاني: الراغب/ مفردات ألفاظ القرآن. ص 331.

[70] - انظر:- ابن منظور: 5/ 233، والحسيني: 290/14.

[71] - انظر:- الجرجاني ، صفحة 290، الجزري 216/3

[72] - الأعراف: من الآية 157

[73] - فصلت: 33

[74] - الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب/ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، 1/ 153.

[75] - البخاري: محمد بن إسماعيل/ صحيح البخاري ، كتاب الرقائق، باب الانتهاء عن المعاصي،8/ 102، حديث رقم:6483، وبنحوه في مسلم: مسلم بن الحجاج/ صحيح مسلم ، 1789/4 كتاب الفضائل، باب: شفقته ﷺ على أمته، حديث رقم: 2284.

[76]- العسقلاني، 318/11-319.

[77]- هو: شهاب الدين أبو الفتوح السهروردي، له في النظم والنثر أشياء لطيفة ويلقب بالمؤيد بالملكوت، وكان يتهم بانحلال العقيدة والتعطيل. انظر:- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك/ الوافي بالوفيات، 236/2، وابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 272/6.

[78] - التوبة: 112

[79] - آل عمران: 113، 114

[80] - التوبة: 67

[81] - آل عمران: من الآية 110

[82] - العيني: 18 / 148

[83] - الحج: من الآية40، 41

[84] - آل عمران: 104- 105.

[85] - الروم:41

[86] - الأنفال:25

[87]- مسلم،2208/4، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن، وفتح ردم يأجوج و...، حديث رقم:2880.

[88]- النيسابوري، محمد بن عبدالله الحاكم/ المستدرك على الصحيحين، 4/ 97، حديث رقم: 7136، قال الحاكم:

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ

---

[89] - البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين/ شعب الإيمان، 6/ 96، حديث رقم: 7590.

[90]- الترمذي، أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، 3/ 316 ، حديث رقم: 2259، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

[91] - الخفاجي، الشهاب/ ريحانة الألبّا و زهرة الحياة الدنيا، 1/ 102.

[92]- الجزري، ابن الأثير/الكامل في التاريخ،358/12، وانظر:السبكي، تاج الدين/ طبقات الشافعية الكبرى 175/1.

[93]- القزويني، محمد بن يزيد/ سنن ابن ماجه 1332/2، كتاب الفتن، باب العقوبات، حديث رقم: 4019.

[94] - يونس:102.

[95] - آل عمران: من الآية 117.

[96] - الملك:2

[97] - الزرعي/ 2: 169- 170.

[98] - الكهف: من الآية110

[99] - الزبيدي، 40 / 139.

[100] - ابني قدامة: موفق الدين ، وشمس الدين / المغني والشرح الكبير، 3/ 24.

[101] - البينة : 5

[102] - البخاري، 1/ 6 كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي حديث رقم: 1.

[103] - النساء: 114.

[104] - الفخر الرازي: محمد بن عمر بن الحسين/ التفسير الكبير ا / 1555.

[105] - مسلم، 2289/4، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله حديث رقم2985 .

[106] - المصدر السابق، 1513/3، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار حديث رقم 1905.

[107] - النووي: 13/ 51.

[108] - الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم/ المعجم الكبير 253/4، قال الهيثمى: قال الهيثمى:رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن شبيب بن خالد وهو ثقة، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي/مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 10/ 380، دار الفكر، بيروت - 1412 هـ

[109] - البيهقي: أحمد بن الحسين/ معرفة السنن والآثار، 15/ 392.

[110] - الألباني: صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري259/1، حديث رقم: 716/554 .

[111] - آل عمران:31

[112] - مسلم، 1343/3، كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة...، حديث رقم: 1718.

[113] - السيوطي: عبد الرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل/ الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 321/4.

[114] - الدرامي:عثمان بن سعيد/ سنن الدرامي،286/1، كتاب المقدمة، باب في كراهة أخذ الرأي، حديث رقم:210.

قال الألباني: " و هذا إسناد صحيح" / السلسلة الصحيحة 5 / 4

[115] - المَهْيَع: الطريق الواسع المنبسط، انظر: ابن منظور، مادة هيع، 379/8.

[116] - الاسراء:9

[117] - حنبل 1/ 435، حديث رقم: 4142، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، قال: إسناده حسن.

[118] - الأنعام:153

[119] - ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم/ شرح العقيدة الأصفهانية، 166/1.

[120] - الكهف: 103، 104

[121] - الفرقان:23

[122] - البغدادي: أبو بكر الخطيب/ موضح أوهام الجمع والتفريق 1/ 406.

[123] - ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم/ الفتاوى الكبرى، 446/4.

[124] - انظر: - البدر:عبد الرزاق بن عبد المحسن/ فقه الأدعية والأذكار، 51/2،

- الألباني: محمد ناصر الدين/ السلسلة الصحيحة، 11/5.

[125] - انظر: الطبراني: سليمان بن أحمد/ المعجم الكبير، 207/10.

[126] - الواجب هو: ما طلب الشارع فعله طلباً جازماً، كالصلاة، والزكاة وبرِّ الوالدين، وصلة الأرحام... .

انظر: - الحنبلي: عبد المؤمن بن عبد الحقّ/ تيسير الوصول إلى قواعد الأصول ومعاقد الفصول 1/ 18، شرح:عبد الله بن صالح الفوزان.

[127] - انظر: الزركشي: بدر الدين محمد / البحر المحيط في أصول الفقه 1/ 140.

[128]- انظر: المطلب الثاني من المبحث الثاني من هذا البحث ص 15- 17.

[129] - العيني، 57/13.

[130]- العسقلاني، 5/ 296.

[131] - شريطة الالتزام بشروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي ثلاثة:

الشَّرْطُ الأول: أَنْ يَعْلَمَ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ فَالْجَاهِلُ بِالْحُكْمِ لا يَحِلُّ لَهُ النَّهْيُ عَمَّا يَــرَاهُ ، وَلا الأَمْرُ بِهِ.

الشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ يَأْمَنَ مِنْ أَنْ يَكُونَ يُؤَدِّي إنْكَارُهُ إلَى مُنْكَرٍ أَكْبَرَ مِنْهُ مِثْلُ أَنْ يَنْهَـــى عَــنْ شُرْبِ الْخَمْرِ فَيُؤَدِّيَ نَهْيُهُ عَنْهُ إلَى قَتْلِ النَّفْسِ أَوْ نَحْوِهِ.

الشَّرْطُ الثَّالِثُ: أَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّ إنْكَارَهُ الْمُنْكَرَ مُزِيلٌ لَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ بِالْمَعْرُوفِ مُــؤَثِّرٌ فِي تَحْصِيلِهِ.

انظر: القرافي، أحمد بن إدريس الصنهاجي/ كتاب الفروق، أنوار البروق في أنواء الفــروق، 4/ 1398.

[132] - مسلم: 1 / 69، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم 49.

[133] - انظر: الجصاص: أحمد بن علي الرازي/ أحكام القرآن، 5/ 280.

[134] - انظر: الأنصاري: جمال الدين بن هشام / مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص 294.

[135] - آل عمران:104

[136] - الحنبلي: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني/غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، 175/1.

[137] - ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم/ مجموع الفتاوى، 41/7.

[138] - طـــه:44

[139] - العنكبوت:46

[140] - النسائي: أحمد بن شعيب/ سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، كتــاب الإيمــان وشرائعه، باب تفاضل أهل الإيمان، 8/ 486. **قال الألباني: "صحيح"، صحيح وضعيف ســنن النسائي/ محمد ناصر الدين الألباني 11/ 81، مصدر الكتاب: برنامج منظومــة التحقيقــات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية،**

[141] - مسلم، 1/ 2210، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الــذي يــؤم البيــت، حديث رقم:7884

[142] - انظر: المباركفوري، 6/ 328.

[143] - السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر/ الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجـامع الصغير 1/ 238، والألباني/ صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، ص 198، حديث رقم: 1980، قال: صحيح.

[144] - السِّجِسْتاني: أبو داود سليمان بن الأشعث/ سنن أبي داود بحاشيته عون المعبـود، كتـاب الملاحم، باب الأمر والنهي، 4/ 214، حديث رقم: 4341، قال الألباني: حسن

[145] - النساء:140

[146] - القرطبي، 418/5 .

[147]- يضرب مثلاً في الخلتين من الإساءة تجتمعان على الرجل، وأصله أن جساس بن مرة لمـا ركب ليلحق كليباً أردف خلفه عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان فلما طعنه وبه رمق قال له:

أغثنى يا جساس منك بشربة تعود بها فضلا على وأنعم

فقال له جساس: إنك تباعدت عن موضع سقياك، ثم نزل عمرو فحسب أنه يسقيه فلما علـم أن نزولـه للاجهـاز عليـه قـال: المسـتجير بعمـرو عنـد كربتـه كالمستجير من الرمضاء بالنار

انظر:- أنيس، إبراهيم وآخرون/ المعجم الوسيط 1 /373،

- الزمخشري، جارالله محمود بن عمر/ المستقصى في أمثال العرب 2/ 19

[148] - التوبة: 49.

[149]- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، 42/1

[150] - النور: من الآية 63 .

[151] - النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف/ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،24/2.

[152] - الحج: من الآية 40.

[153] - الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 524/7، حديث رقـم 12128، وروى الترمذي طرفاً منه: 483/4 حديث رقم:2191 وقال: حديث حسن صحيح.

[154] - الأحزاب: من الآية 4

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم/ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، تحقيق: محمد جميـل غازي، مكتبة المدني .

2. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم/ **الفتاوى الكبرى**، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطـــا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، 1408هـــ- 1987م.
3. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم/ **شرح العقيدة الأصفهانية**، تحقيق: إبراهيم سعيداي، الطبعـــة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، 1415هـــ.
4. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم/ **مجموع الفتاوى**، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، الطبعة الثالثة، دار الوفاء، 1426 هـــ / 2005م.
5. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر/ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.
6. ابن كثير، إسماعيل بن عمر أبو الفداء/ **تفسير القرآن العظيم**.
7. ابن منظور، محمد/ **لسان العرب**، مادة حدد 3 / 140 دار صادر – بيروت.
8. ابني قدامة، موفق الدين، وشمس الدين/ **المغني والشرح الكبير**، الطبعة الأولى، دار الفكـــر، بيروت. 1404هـــ- 1984م.
9. الأصفهاني، الراغب/ **مفردات ألفاظ القرآن**.
10. الألباني، محمد ناصر الدين/ السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف - الرياض
11. الألباني، **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، الطبعة الأولى، دار الصدّيق، 1421هـــ.
12. الألباني، **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته**، المكتب الإسلامي.
13. الألباني، صحيح وضعيف سنن النسائي/ مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثيـــة - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
14. الأنصاري، جمال الدين بن هشام / **مغني اللبيب عن كتـــب الأعاريـــب**، تحقيـــق د. مـــازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر -بيروت 1979م.
15. أنيس، إبراهيم وآخرون/ **المعجم الوسيط**، تحقيق: مجمع اللغة العربية دار الدعوة .
16. البخاري، محمد بن إسماعيل/ **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق: محمد زهير بـــن ناصـــر الناصر، الطبعة الأولى دار طوق النجاة، 1422هـــ.
17. البخاري، محمد بن إسماعيل/ **صحيح البخاري**، كتاب الرقائق، تحقيق: محمـــد زهيـــر بـــن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة- 1422هـــ ،
18. البدر، عبد الـــرزاق بـــن عبـــد المحـــسن/ **فقـــه الأدعيـــة والأذكـــار**، الطبعـــة الثانيـــة - الكويت،1423هـــ/2003م

19. البغدادي، أبو بكر الخطيب/ **موضح أوهام الجمع والتفريق،** تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي. الطبعة الأولى، دار المعرفة- بيروت 1407هـ.
20. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين/ **شعب الإيمان،** تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية – بيروت، 1410هـ.
21. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين/ **معرفة السنن والآثار،** تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الوفاء – مصر ،1412هـ.
22. التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب، **مشكاة المصابيح،** تحقيق : تحقيق محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة : الثالثة – 1405هـ - 1985م
23. الترمذي، محمد بن عيسى/ **سنن الترمذي،** تحقيق:عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية دار الفكر- بيروت،1403هـ- 1982م
24. الجرجاني، علي بن محمد/ **التعريفات،** تحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، 1405هـ.
25. الجزري، ابن الأثير/ **الكامل في التاريخ**. دار صادر – بيروت، ط: 1386هـ 1966م
26. الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد/ **النهاية في غريب الحديث والأثر،** تحقيق: طاهر أحمد الزاوي محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت ، 1399هـ- 1979م
27. الجصاص، أحمد بن علي الرازي/ **أحكام القرآن،** تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي- بيروت ، 1405هـ.
28. حسين، محمد الخضر، شيخ الأزهر/ الدعوة إلى الإصلاح، منتديات نوافذ المحبة والإخاء. http://www.nawafith.net/forum/showthread.php?t=19324
29. الحسيني، محمّد الملقّب بمرتضى الزَّبيدي/ **تاج العروس من جواهر القاموس،** دار الهداية.
30. الحنبلي، عبد المؤمن بن عبد الحقّ/ **تيسير الوصول إلى قواعد الأصول ومعاقد الفصول،** الطبعة الثانية.
31. الحنبلي، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني/**غذاء الألباب شرح منظومة الآداب،** تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، الطبعة: الثانية، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1423 هـ - 2002 م
32. الخطيب، أحمد وآخرون/ **دليل البحث والتقويم التربوي** دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1392هـ

33. الخفاجي، الشهاب/ **ريحانة الألبّا و زهرة الحياة الدنيا**، موقع الوراق http://www.alwarraq.com الراجحي، عبد العزيز/ **القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**
34. الدرامي، أبو سعيد عثمان بن سعيد/ **سنن الدرامي**، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، الطبعة الأولى، دار المغني، دار ابن حزم- الرياض، بيروت، 2000م
35. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر/ **مختار الصحاح**، ، تحقيق: محمود خاطر مكتبة لبنان – بيروت، 1415هـ - 1995م.
36. الرافعي، مصطفى صادق/ **وحي القلم**، 7/ 3، المكتبة العصرية، 2002م
37. الزحيلي، وهبة/ **الفقه الإسلامي وأدلته**، الطبعة الثانية، دار الفكر- بيروت 1405هـ- 1985م.
38. الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب/ **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل - بيروت، 1973
39. الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب/ **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)**، دار الكتب العلمية - بيروت
40. الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب/ **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**، دار الكتب العلمية - بيروت، 1395 هـ- 1975م.
41. الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب/ **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، تحقيق: زكريا علي يوسف دار الكتب العلمية – بيروت
42. الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب/ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، 1393 – 1973.
43. الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب/ **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، دار الكتب .
44. الزركشي، بدر الدين محمد / **البحر المحيط في أصول الفقه**، تحقيق: د. محمد تامر، طبعة 1421هـ - 2000م، دار الكتب العلمية، لبنان/ بيروت.
45. الزمخشري، جارالله محمود بن عمر/ **المستقصى في أمثال العرب**،الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت1987م
46. السبكي، تاج الدين/ **طبقات الشافعية الكبرى**، ط2- دار المعرفة - بيروت.

47. السِّجِسْتاني، أبو داود سليمان بن الأشعث/ **سنن أبي داود بحاشيته عون المعبود**، دار الكتاب العربي.

48. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر/ **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000م.

49. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر/ **الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير**، تحقيق: يوسف النبهاني، الطبعة الأولى، دار الفكر - بيروت / لبنان - 1423هـ - 2003م.

50. السيوطي، عبد الرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل/ **الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** .

51. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك/ **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ - 2000م

52. الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم / **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. الطبعة الثانية، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، 1404 هـ - 1983م.

53. الطبراني، سليمان بن أحمد/ **المعجم الكبير**، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، الطبعة الثانية.

54. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر الإمام الحافظ/ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، دار المعرفة- بيروت

55. العيني: بدر الدين محمود/ **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

56. الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد/ **إحياء علوم الدين**، دار االمعرفة - بيروت .

57. الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين/ **التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي.

58. الفيومي، أحمد/ **المصباح المنير** في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت.

59. القرافي: أحمد بن إدريس الصنهاجي / **كتاب الفروق، أنوار البروق في أنواء الفروق،** تحقيق: أ.د محمد أحمد سراج، أ.د علي جمعة محمد، الطبعة الأولى، دار السلام- القاهرة،1421هـ-2001م.

60. القرطبي، محمد الأنصاري/ **الجامع لأحكام القرآن**.

61. القزويني، محمد بن يزيد أبو عبدالله/ **سنن ابن ماجه** تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت.

62. قطب سيد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق- بيروت، القاهرة، الطبعة الشرعيَّة العاشرة 1402هـ- 1982.
63. قلعة جي، محمد رواس و قنيبي، حامد صادق/ **معجم لغة الفقهاء**، دار النفائس.
64. المباركفوري، محمد عبد الرحمن/ **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، دار الكتب العلمية- بيروت مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، طبعة دار الفكر - بيروت،1403هـ- 1983.
65. المناوي، عبد الرؤوف/ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ، المكتبة التجارية الكبرى- مصر الطبعة الأولى 1356هـ.
66. المناوي، محمد عبد الرؤوف/ **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق : د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر - بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، 1410هـ
67. النسائي، أحمد بن شعيب/ **سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي**، الطبعة الخامسة دار المعرفة- بيروت، 1420هـ.
68. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف/ **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، الطبعة الثانية.
69. النووي، يحيى بن شرف/ **صحيح مسلم بشرح النووي** ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية،
70. النيسابوري، محمد بن عبدالله الحاكم/ **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م.
71. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر/ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الفكر، بيروت - 1412هـ.